الحرب ضد محمد بن سلمان

علي الصراف
كاتب عراقي

تستطيع قطر وتركيا أن تحتفلا بما تحقق حتى الآن في الحرب ضد ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان. فالحملة التي بدأت قبل جريمة قتل جمال خاشقجي، إذا كانت قد عثرت على ضالتها فيه من أجل صنع أطول فيلم رعب، وأطول محاكمة من دون أدلة، فإنها لن تتوقف، وعواقبها لن تنتهي.

إدارة الرئيس جو بايدن حتى وإن تردّدت في إيقاع عقوبات على الأمير محمد بن سلمان، إلا أنها ستظل تلاحق المملكة بمطالب غير مشروعة ومبالغ فيها، لتظهر بمظهر المدافع عن حقوق الإنسان، إنما لتُنفّس عن شيء آخر.

كل كلمة نطقها الرئيس بايدن تجاه السعودية، وكل كلمة سيقولها في المستقبل، تدل على موقف عدائي مسبق، صادر عن حملة شعواء تتعرض لها المملكة منذ عدة سنوات في الولايات المتحدة، وتحديدا منذ أن أُطلق مشروع "الشرق الأوسط الجديد" الذي قصد أن يضع المنطقة تحت رماد الحريق، في حروب أهلية تقودها جماعة الإخوان المسلمين؛ مشروع تموّله قطر، ويدعمه الديمقراطيون في الولايات المتحدة وبعض أعتى عتاة اليمين، لينتهي إلى تمزيق دول المنطقة، ومن بينها السعودية التي كان يتعيّن أن تنقسم إلى ثلاث دول (إحداها موالية لقطر!).

تلك الحملة تحولت إلى حرب معلنة منذ أن بدأت المقاطعة العربية ضد قطر، فتجنّدت من أجلها مراكز علاقات عامة، ولوبيات للتأثير داخل الكونغرس وخارجه، وفي مختلف وسائل الإعلام.

بايدن، حتى بعد أن أصبح رئيسا، فإن ظله ما يزال يحوم في ممرات الكونغرس، ويتأثر بمجموعات الضغط التي تفعل فعلها فيه.

لا يغرب عن أحد أن الحرب ضد الأمير محمد بن سلمان هي حرب ضد السعودية أصلا، وليس فقط ضد ملك المستقبل.

هذه القوة الإقليمية الكبرى، كان مطلوبا لها أن تتحطم، وفقا للإستراتيجية التي تبنتها قطر قبل المقاطعة. وهي لجأت إلى التصعيد من بعدها، ليس بدافع العزة بالإثم فقط، وإنما بدافع من الاعتقاد بأن السعودية هي العائق الأكبر أمام تحول قطر إلى دولة عظمى. لتكون بذلك هي العدو الذي يتعيّن أن ينكسر ليفتح أمامها الطريق.

الإدارة السعودية أثبتت أنها صبورة ويأخذها التسامح والقدرة على الاستيعاب في العلاقة مع الولايات المتحدة وفعلت الشيء نفسه مع قطر وسلطة أردوغان بل وآثرت أن تقدم الأهم على المهم دائما

صعود محمد بن سلمان أطلق كل صفارات الإنذار في الدوحة، لأنه أنطوى على مشروع إصلاحي ضخم، ما يزال من شأنه أن يرسي قوة المملكة الاقتصادية على أسس تواكب المتغيرات في الاقتصاد العالمي؛ اقتصاد ما بعد النفط. وهو ما يعني أن "العقدة"، من وجهة نظر "الدولة العظمى" المؤجلة، ستظل عقدة، بل تزداد صلابة.

أصلا، كل قصة الحريات وحقوق الإنسان والدفاع عن الرأي، ما كانت موجهة إلى أحد بمقدار ما كانت موجهة إلى السعودية بالذات. هي بيت القصيد.

القطريون يعرفون، بحكم العِشرة، أن أي اضطراب أو خروج عن السياق العام، لا يواجه في السعودية إلا بيد من حديد. وفي عالم يصدح، ويردح، بقضايا حقوق الإنسان، بتجريد عجيب عن مقوماتها الاجتماعية، فإن "اليد الحديد" غالبا ما تثير نقمة خارجية أشد، مما يفاقم الاضطراب نفسه.

هذه الدائرة، لا ينقصها إلا حملة إعلامية ولوبيات، لكي تتحول إلى حرب تستمر حتى تنقضي أغراضها.

اليد الحديد "ثقافة" مطلقة لدى المؤسسة الأمنية السعودية؛ شيء لا نقاش فيه، ولا يحتاج إلى أوامر من أحد أصلا. لا يوجد سر في ذلك. حتى جاء خاشقجي ليكون هو الضحية، فأصبح هو بطل ذلك الفيلم. وليكون هو الفيلم الوحيد الذي يتواصل عرضه على كل الشاشات من دون نهاية. ومن ثم ليكون مسلسلا أبديا يتعيّن أن يُلقي بظلاله على مشاريع وخطط "ملك المستقبل" على امتداد الخمسين عاما المقبلة.

الآن، صار بايدن يطالب باتخاذ إجراءات بعدم المساس بالمعارضة وإطلاق سراح النشطاء الذين يهاجمون سياسات نظامهم. بل ويطالب أيضا بتفكيك قوات التدخل السريع التابعة لولي العهد، وإجراء تغييرات عميقة في المؤسسة الأمنية تجعلها تقبل التعامل مع المعارضة السياسية كحزب يمتلك حقوقا لا يمكن المساس بها. أما المؤسسة الدينية، ومن قبلها التقاليد والأعراف الاجتماعية، فإنها يتعين في النهاية أن تتقبّل الدعوات لإقامة حفلات رقص في الكعبة، واحترام حقوق المثليين، انطلاقا من قواعد التعددية وحق التعبير عن "الرأي".

هذه حرب حقيقية ضد الاستقرار وما هو أبعد، وليس ضد الأمير محمد بن سلمان. إذ ما من أحد يأخذه الهوى، فيريد أن يشارك في بطولة المسلسل، إلا وستكون ملاحقته قصة بعنوان خاشقجي – 2، وخاشقجي – 3.

كرة الثلج التي حولتها قطر إلى قنبلة، تكبر الآن، من دون أن يبدو أن للدوحة دورا فيها. رمت الفتنة، واتخذت مقعدا جانبيا لترى كيف تفعل فعلها. جنّدت من الإمكانيات ما لم تجنده دولة ضد دولة لتشويه صورتها، ولتحويل العداء ضدها إلى عداء أعمى لا يستطيع حتى أن ينظر في طبيعة القيم والمعايير الاجتماعية المختلفة، ولا في المقومات الثقافية والتاريخية والدينية التي تجعل من المجتمع السعودي شيئا لا يستطيع أن يشبه المجتمع السويدي.

حتى صار يجب أن تكون هناك "معارضة" في السعودية، وأن تكون محترمة. ولكن ليس كأي معارضة أخرى، وإنما معارضة محمية تحت وطأة شبح المسلسل.

الإيرانيون في الجوار يعدمون معارضيهم، ويغتالون نشطاء سياسيين في العراق كل يوم. إنما من دون شبح. وحكومة أردوغان تقمع المعارضة كل يوم، حتى لم يعد بوسع زعيمها أن ينطق بالمساءلة إلا ويتعرض للتهديد بالمحاكمة، وغيره يُسجن باتهامات بالإرهاب، إنما من دون شبح أيضا.

لقد أثبتت الإدارة السعودية أنها صبورة، ومتأنية، ويأخذها التسامح، والقدرة على الاستيعاب في العلاقة مع الولايات المتحدة. وفعلت الشيء نفسه مع قطر وسلطة أردوغان، بل وحتى مع إيران نفسها أيضا. ثم آثرت أن تقدم الأهم على المهم دائما.

القنبلة التي تتفجر الآن بين يدي الأمير محمد بن سلمان، تقصد أن تتفجر ضد مشروعه الإصلاحي. الخمسون عاما المقبلة هي الهدف.

إنها حرب تستولد استمرارها من العاقبة التي تليها عاقبة أشد ثقلا.

شيء بارع تماما. ويجدر بالمرء أن يوجّه التهنئة لكل من صنعوا هذا المسلسل. إذ نجحوا في تحويل جريمة ضد شخص واحد، إلى جريمة مضادة لا تنتهي أبدا.

ما اقترفته التقارير الأميركية بالمنطقة العربية

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

لا يمكن الثقة بمضمون تقارير المخابرات الأميركية في تقييم الأحداث الخارجية، ولا البناء عليها في اتخاذ قرارات ومواقف، فهي ليست جهة ادعاء ولا قضاء، ولا تراعي ما يقتضيه الموقف من عدل ونزاهة، كما أنها مخولة ومعنية في الأساس بخدمة أهداف وأجندة الحكومة الأميركية.

وتبعا لهذا، صدر تقريرها بشأن قضية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي مليئا بالعيوب، كان نصه هشًا وزاخرا بالعبارات الظنية والتخمينية، كلمات من قبيل (نفترض، نشعر، نعتقد، نتوقع، نظن، من الممكن، قد يكون، ربما) كانت تشكل مفاتيح الفقرات المبعثرة في جسم التقرير المهلهل.

الآن، هل ذلك كافٍ للإدارة الأميركية لاتخاذ مواقف وقرارات تجاه السعودية، وبناء على استنتاجات هذا التقرير، رغم تواضعه منطقيا وإجرائيا، هذا محتمل.

جوقة الرئيس الأميركي جو بايدن تريد أن تنال من تصلّب الرياض تجاه بعض الملفات التي تريد واشنطن تمريرها، وعلى رأسها ملف إيران النووي، الذي وعد بايدن بحله بالعودة إلى الاتفاق النووي، والانتهاء من صداع طهران، وسيكون تقييد السعودية من أول ما تقدمه الإدارة الديمقراطية اليائسة إلى الصفقة المستعادة.

لكنها بكل الأحوال ستكون "مقاربة حذرة من واشنطن لتجنّب أي شرخ دبلوماسي مع الرياض".

يدعم ذلك تصريح وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، وقوله "لا نريد 'تمزيق' علاقات الولايات المتحدة والسعودية، لكن تطويرها".

كريستين ديوان، من معهد دول الخليج العربية في واشنطن، قالت إن "فريق بايدن للسياسة الخارجية يتألف من خبراء متمرسين، وليسوا ساذجين لدرجة الاعتقاد بأنه يمكنهم تحقيق أهدافهم في الشرق الأوسط دون التعامل مع الدولة السعودية، التي لا تزال ممسكة بزمام النفط والأمن في الخليج حتى ولو بطريقة أقل شمولية".

وبالعودة إلى أثر وعاقبة التقارير الأميركية المسيّسة، والتي تشتم منها رائحة الاستثمار غير الأخلاقي لتمرير الأجندة المشبوهة، لنتذكر ما فعلته التقارير الأميركية في المنطقة العربية، وأشهرها ما حلّ بالعراق قبل قرابة عقدين، عندما استخدمت إدارة بوش الابن تقريرا استخباراتيا مفبركا لتبرير حرب ظالمة على الشعب العراقي، مازالت آثارها الكارثية قائمة حتى الآن.

وقد اعترفت النخب الحاكمة بتضليل الرأي العام، وتعمّد الكذب، والخضوع لسردية المحافظين المختلقة، لكنها لم تتجشّم تحمل مسؤولية وتبعات هذا القرار الكارثي، الذي جرّ على المنطقة سنوات من السوداوية والدمار.

بل حتى أغلب القضايا التي ارتكبت بحق الشعب العراقي، وأظهر فيها عناصر الجيش الأميركي مستوى وقحا من امتهان الإنسان والاستخفاف بحياته وكرامته، لم تحرّك لدى أروقة النظام السياسي والاجتماعي الغربي أي إحساس بالندم، أو عزم على المحاسبة. بينما تتعامل الرياض بهدوء مع كل هذه الجلبة، ودويّ التحليلات التي تريد إفساد شراكة مهمّة، استفاد منها البلدان طويلا.

وتبعا للمنطق، لا يصحّ التفريط بالعلاقة مع واشنطن، بل ينبغي العمل والمساعدة على إنجاحها ورفع العراقيل التي تعيق نموها وتطورها، مع الحفاظ على الثوابت السيادية والإبقاء على هوية واستقلالية ومصالح البلاد العربية، وبلورة شكل للمستقبل، يكون أقل اعتمادا على أحادية الحلفاء، وأكثر انفصالا عن خياراتهم وتحولاتهم.

فضلا عن ضرورة الاستثمار في القدرات الجيوسياسية والذاتية، وبناء مشروع صناعي يحقق الحد الأدنى من الاكتفاء في الحاجات الأولية لضمان الأمن بشكله الواسع على أقل تقدير.

التقرير الأميركي أفسد حفلة كان خصوم السعودية يستعدون لها بعد أن نالتهم خيبة أمل كبيرة نتيجة الضعف الذي ظهر عليه وخلوه من أي أدلة أو مضمون يغذي دعاياتهم السوداء والسلبية

وفي المقابل طوت الرياض ملف القضية، بصدور الأحكام التي حصلت على تأييد عائلة المواطن السعودي خاشقجي، ونفى الأمير محمد بن سلمان ضلوعه بأي شكل من الأشكال في العملية، لكنه قال إنه يتحمل المسؤولية المعنوية لأن الجريمة حدثت وهو في موقع السلطة، وحثّ كل من يزعم وجود أدلة تثبت ضلوعه أو اتصاله بالمسألة، تقديمها للعلن.

أفسد التقرير الأميركي حفلة كان يستعد لها خصوم السعودية، بعد أن نالتهم خيبة أمل كبيرة، نتيجة الضعف الذي ظهر عليه، وخلوه من أي أدلة أو مضمون يغذي دعاياتهم السوداء والسلبية المرتبطة بأدوار السعودية الأخيرة، وحجم من فعالية طموحاتهم التوسعية، لاسيما في أنقرة، التي قادت قبل عامين، آلة ضخمة من الإساءات الممنهجة والضخّ السلبي ضد الرياض، باءت في نهاية المطاف بالفشل الكامل.

ببساطة، المصالح العليا المشتركة والعلاقات الاستراتيجية لن تكون في خطر، وبمجرد أن يخمد هذا الغبار والهياج ستعود الأمور إلى نصابها، في هذه الأثناء تجري مناورات تمرين "التنين" المشترك بين "القوات الجوية السعودية" والقوات الجوية الأميركية، في المنطقة الغربية بالمملكة، تجسيدا عمليا لاستمرار التعاون المشترك بين القوتين الجويتين للحفاظ على أمن واستقرار المنطقة.

مشروع الأمير محمد بن سلمان الإصلاحي ضرورة وليس خيارا.

يجب تحصين هذا المشروع بالكثير من الحصافة والشجاعة، ووقف كل ما يشوّش عليه، لا يمكن التراجع إلى الخلف مطلقا، ينبغي التركيز على الخطوات النوعية التي حازت عليها السعودية مؤخرا، وإلقاء كل المنغصات في الخلف وعدم الانشغال بها.

ربما كان على بايدن وهو يقلّب أوراق التقرير ويقرأ ما بين السطور، أن يتعامل مع العبء الذي خلّفه إرث الرئيس الأسبق باراك أوباما ومع مشروعه المجهض في المنطقة، وتحقيق معادلة تكون فيها إيران دولة معترفا بدورها التوسعي، وإرضاء جشعها بلقمة عربية كبيرة، مقابل أن تقلّص من طموحها في مضايقة إسرائيل، أو إزعاج الانسحاب التدريجي لواشنطن من المنطقة.

لكن استرضاء إيران، على حساب الحلفاء، ستكون عواقبه وخيمة على الولايات المتحدة ومنطقة الشرق الأوسط، فضلا عن العالم كله.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk